PSYCHOLOGY AND EDUCATION (2024) 61(5): 486-498
ISSN: 1553-6939

Manifestation of the Palestinian situation in the Algerian prose writings, the booke "uyun albssar" by Mohamed al- bashir Al-ibrahimi as an example

Dr. hamza.lakehal [1*], Dr. noureddine mezroua [2*]

[1:] Hajj Lakhdar University, Batna, (Algeria), hamza.lakhal@univ-batna.dz

[2:] Mohamed Khidir University of Biskra, nouraldinmazroua1987@gmail-.com

Received:27 /05/2024 ،Published: 28/07/2024

ABSTRACT:

Objectives: The article aims to clarify the Algerian role in the extent of its commitment to the Palestinian cause, especially the international efforts made by the Association of Muslim Scholars in supporting Palestine and championing the Palestinian cause by treating the disease of the Zionist entity at the beginning of its appearance. Anticipating the extent of the danger that will follow the Zionist settlement in Palestine, and striving to find the appropriate solution to eliminate this dilemma..

Methodology: The article relied on the analytical approach by dismantling the problem posed by the writer related to the issue of Palestine and its falling into the mud of the Zionist entity, then studying the details carefully, through analysis and criticism. At the beginning, explaining the reason for the emergence of the issue and the loss of Palestine's rights, while striving to find a cure before The spread of the disease throughout the Arab nation. This is done by devising provisions that serve as solutions to eliminate this problem..

Results: The article addresses the manifestations of the Palestinian issue, by presenting this issue with national intellectual dimensions, which carry within it the extent of the tragedy that befell the Arab nation through the Western world planting a Zionist germ in the body of the Arab nation, while exploiting Arab weakness and silence regarding this issue.

Conclusion: The issue of Palestine is an issue created by both the Western and Arab world. The former sought to force the creation of this issue, while the latter created it through abandonment and silence about it.

Keywords:
the issue, Palestine, writing, prose, Algeria, eyes of insight.

تجليّات القضية الفلسطينية في الكتابات النثرية الجزائرية ـ كتاب عيون البصائر ـ لمحمد البشير الابراهيمي "نموذجا"

د. حمزة لكحل [1*]، د. نورالدين مزروع [2*]

[1] **جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، hamza.lakhal@univ-batna.dz**

[2] **جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، nouraldinmazroua1987@gmail-.com**

الملخص:

الأهداف: يهدف المقال إلى توضيح الدور الجزائري في مدى التزامه بالقضيّة الفلسطينيّة، لاسيما ما قامت به جمعية علماء المسلمين من جهود دولية في مساندة فلسطين ونصرة القضية الفلسطينية من خلال معالجة داء الكيان الصهيوني في بداية ظهوره. واستشراف مدى الخطورة الّتي تلي الاستيطان الصهيوني في فلسطين، والسعي في إيجاد الحل المناسب للقضاء على هذه المعضلة.

المنهجية: اعتمد المقال على المنهج التحليلي من خلال تفكيك المشكلة التي طرحها الكاتب المتعلقة بقضية فلسطين ووقوعها في وحل الكيان الصهيوني، ثمّ دراسة الجزئيات بدقة، من خلال التحليل والنقد، ففي بداية الأمر بيان سبب ظهور القضية وضياع حقوق فلسطين، مع السعي في إيجاد الدواء قبل تفشي الداء في جسم الأمة العربية. وهذا من خلال استنباط الأحكام التي بمثابة حلول للقضاء على هذه المشكلة.

النتائج : يعالج المقال تجليّات القضية الفلسطينية ،وذلك في طرح هذه القضية بأبعاد فكرية قومية، تحمل في طيّاتها مدى المأساة التي حلّت بالأمة العربية من خلال زرع العالم الغربي جرثومة صهيونية في جسم الأمة العربية، مع استغلال الضعف العربي وسكوته عن هذه القضية.

الخلاصة: قضيّة فلسطين قضيّة خلقها العالم الغربي والعربي كلاهما، فالأوّل سعيه في فرض خلق هذه القضية بالقوّة ، وأما الثاني خلقها بالخذلان، والسكوت عنها.

الكلمات المفتاحية:

القضية، فلسطين، الكتابة، النثر، الجزائر، عيون البصائر.

- مقدمة:

تشهد مجالات التربية والتعليم في الجزائر تحوّلات وتطورات مستمرة بهدف تحسين جودة التعليم ورفع مستوى منذ تنفيذ وعد بلفور المشؤُوم، وبعد الانتفاضات الفلسطينية الأولى في ردّهم على القرار الجائر لتمكين اليهود على الأراضي الفلسطينية، جاء ردّ جمعيّة العلماء المسلمين واضحاً يبرز خطورة هذا القرار وهذا التقسيم الذي لا يعدّ قاصمة ظهر فلسطين فقط بل الأمة جميعها. ومن بين أعضاء جمعية علماء المسلمين الذين نشطوا في هذا الميدان، ودافعوا عن فلسطين، وأعلنوا قضيتها للعالم. محمد البشير الإبراهيمي.

يعدّ البشير الابراهيمي أحد زعماء الثورة الجزائرية وأبرز المفكرين لجمعية علماء المسلمين، الذي لم يتقيّد دوره في مجال وطنه الجزائر فحسب، بل توسّع دوره في معالجة أهم القضايا العادلة التي تخصّ الأمة العربية مثل قضيّة فلسطين. وقد برز دور جمعيّة علماء المسلمين في نصرة قضية فلسطين من خلال مجهودات البشير الإبراهيمي، الذي لم يهنأ قلبه وهو يرى زهرة الإسلام تقطف من أعدائه، وأقصاه يدنّس تحت أقدام قتلة الأنبياء.

ثمّ إن روح التضحية التي سار في دربها الشعب الجزائري، والجهود التي قام بها الشيخ من أجل تحرير بلده من وطأة الاستعمار، وبصيرته التي اكتسبها من جرائم الاستعمار ونواياه الخبيثة في القضاء على مجد الجزائر واستقلالها، كلّ ذلك دفعه في مواصلة كفاحه وجهوده في نصرة فلسطين، وتقديم الغالي والنفيس من أجلها بروح قومية ونخوة عربية.

ولعلَّ هذا ما نسعى إليه من خلال دراسة تحليلية نقدية في كتاب "عيون البصائر" أنموذجا للكاتب الشيخ "محمّد البشير الابراهيمي، فكان الموضوع على الشكل الآتي: تجليّات القضية الفلسطينية في الكتابات النثرية الجزائرية- كتاب عيون البصائر- لمحمد البشير الابراهيمي "نموذجا" محاولين التطرق إلى أهم المحاور التي تطرق إليها الشيخ في مسألة القضية الفلسطينيّة ، وما انطوت عليه هذه المحاور من أهداف قيّمة تعالج داء الكيان الصهيوني قبل تفشيه وسيطرته على جسم الأمة العربية.

وقد تناولنا هذا المقال من خلال تطرّق إلى ستّة عناصر:

أوّلا: التعريف بشخصيّة محمّد البشير الابراهيمي.

ثانيا: دور جمعية علماء المسلمين في الدفاع عن القضايا العادلة وتأسيس جريدة عيون البصائر.

ثالثا: الاستعمار ودَورِه في خَلْقِ قضيَّة فلسطين..

رابعا: دَور العرب والمسلمين في ضياع فلسطين والواجبات المطلوبة منهم.

خامسا: رُؤى الإبراهيميّ حول نَكبة فلسطين عام 1948م.

سادسا: النَّواحي العمليَّة في مواقف الإبراهيميّ إزاء قضيَّة فلسطين.

أولا: تعريف بشخصية محمد البشير الابراهيمي:

محمّد البشير الابراهيمي: هو الشيخ م ب الابراهيمي من اعلام الفكر والنهضة والادب في الجزائر، ولد سنة 1889 م بمنطقة اولاد براهيم ولاية سطيف. نشأ وسط عائلة متدينة تقدس العلم وتوقر العلماء حفظ القران صغيرا وبعض المتون في الفقه واللغة (الإبراهيمي، أثار الإمام محمد البشير الابراهيمي، 1997).

انتقل محمد البشير الابراهيمي إلى مصر عام 1911م، أقام بها ثلاثة أشهر التقى خلالها بعدد من علمائها وأدبائها، ودرّس العلم في جامع الأزهر، ثمّ انتقل إلى المدينة المنوّرة درس فيها على كبار علمائها الوافدين من كل أنحاء العالم الإسلامي – علوم التفسير والحديث والفقه، والتراجم وأنساب العرب وأدبهم، ودواوينهم، كما درس علم المنطق، والحكمة المشرقية، وأمهات كتب اللّغة والأدب، ثم أصبح يلقي الدروس للطلبة في الحرم النبوي . و في عام1913 (ابرير, حمودي; ، 2022)، وخلال إقامته بالمدينة المنوّرة التقى بالإمام ابن باديس وفي هذه اللّقاء المبارك في المكان المبارك جاءت فكرة تأسيس جمعيّة علماء المسلمين (ابرير, حمودي; ، 2022).

قرّر محمد البشير الابراهيمي العودة إلى الجزائر سنة 1920م، وفي مخيّلته فكرة تحيي الإسلام والعربية في الوطن وتنشر العلم، وتبعث الأمّة، وأعجب بعد وصوله بالنتائج المثمرة التي حقّقها ابن باديس الذي كان يقود حركة ثقافية وصحفية بمدينة قسنطينة، فأقام بمدينة سطيف وأنشأ بها مدرّسة ومسجداً بعد أن رفض الوظيفة التي عرضت عليه من طرف السلطات الفرنسية، وتعاطى التجارة ليقوم بأود عائلته، وبقي على اتصال بابن باديس، ثم انتقل تونس واتصل بعلمائها، وفي هذه الفترة نشط البشير الابراهيمي مع زميله ابن باديس في تأسيس جمعية العلماء المسلمين (ابرير, حمودي; ، 2022).

ولمّا اندلعت الثورة الجزائرية عام 1954 كان الإبراهيمي خير داعم لها فوجّه بعد أسبوع من اندلاع الثورة التحريرية نداء الى الشعب الجزائري ، يدعوه إلى الالتفاف لها ، وخوض غمار الجهاد المقدّس، والتضحية بالنفس والنفيس، لأنّ ذلك هو السبيل الوحيد للعزّة والكرامة، وكان هذا النداء اسكاتا لكل من يريد التشكيك في شرعية الدين، ودفعا قويا للثورة الوليدة (الإبراهيمي، أثار الإمام محمد البشير الابراهيمي، 1997).

توفي-رحمه الله-سنة 1965م (الإبراهيمي، أثار الإمام محمد البشير الابراهيمي، 1997). تاركا زادا ضخما من المؤلفات منها : أسرار الضمائر العربية /الشمسية بالمصدر /حكمة مشروعية الزّكاة /رواية كاهنة الاوراس/عيون البصائر وهي مجموعة مقالاته نشرها في جريدة البصائر ..الخ (الحاج علي, الهوارية;، 2022).

ثانيا: دورجمعية علماء المسلمين في الدفاع عن القضايا العادلة وتأسيس جريدة عيون البصائر:

في عام 1931 تأسّست "جمعية علماء المسلمين الجزائريّين" كرد فعل إيجابي على احتفال فرنسا بمرون قرن على احتفال الجزائر، بعدما أيقنت أن الجزائر قد أصبحت للأبد قطعة منها، مسيحيّة الدين فرنسيّة اللّسان، فجاء شعار الجمعيّة صارخاً مدوّيا في وجه فرنسا، وراسما طريق الخلاص منها: ((الإسلام ديننا والعربيّة لغتنا والجزائر وطننا)) (الحاج علي, الهوارية;، 2022).

لمّا أحسّ العدو خطورة عمل هذا الرجل وسعيّه في إرشاد العقول وإخراجها من سرداب الجهل وتبعاته، وإبصاره حقيقة الجهاد وحبّ الوطن وقيمته الكبيرة المدفونة تحت وطأة هذا المستعمر المجرم، وبعد محاولات إغراء واحتواء من طرف المستعمر ، ورفضه القاطع كلّ محاولات الإغراء والاحتواء والتثبيط للعزيمة اضطرّت فرنسا في نفيه إلى قرية آفلو في الجنوب الغربي من الوطن في مطلع الحرب العالمية الثانية (الحاج علي, الهوارية;، 2022).

وفي سنة1946م استأنف محمد البشير الابراهيمي نشاطه فبعث جريدة البصائر من جديد في السنة الموالية، بعد أن توقّفت أثناء الحرب، وأشرف على تحريرها، وأصبحت الناطق الرسمي للشعب الجزائري. طلعت هذه الجريدة على الشعب الجزائري رافعة لواء الحق والدفاع عن الدين واللغة العربية، رغم ما تعرضت له من المشاكل مع الاستعمار الفرنسي الذي كان بالمرصاد لكل ما يقال وما ينشر، والذي ساعد أكثر على إصدار هذه الجريدة هو تأسيس المطبعة الجزائرية الإسلامية وإصدار جريدتي المنقذ والشهاب الأسبوعي والشهري اللتين كانتا تعملان على إحياء وبعث الإسلام ولغته، والحفاظ على الشخصية العربية الإسلامية للشعب الجزائري، ومقاومة السياسة الاستدمارية (الحاج علي, الهوارية;، 2022).

وجاءت البصائر بعد هذا فحملت لواء الدفاع عن استقلال الأمة الجزائرية من الاستعمار الفرنسي، وراح يكتب فيها ثلة من العلماء والكتاب والمفكرين كل حسب نظريته، وكانت النظرات كلها تصب في معين واحد وهدف موحد هو: استقلال الجزائر.

إنّ البصائر فكرةٌ استولت على العقول فكانت عقيدة مشدودة العقد ببرهان القرآن ، ثمّ فاضت على أسلات الألسنة فكانت كلاما مشرقا الجوانب بنور الحكمة ، ثمّ جاشت على أسنّة الأقلام فكانت كلاما كانت كتابة في صحيفة (الإبراهيمي ، من أثار الإمام محمد البشير الابراهيمي- عيون البصائر-).

ثالثا: الاستعمارودَورِه في خَلْقِ قضيَّة فلسطين:

لا ينكر أحدٌ منا نوايا الاستعمار الخبيث، وخططه الشنيعة في خلق أزمات للمسلمين، وقد صدق الله تعالى في قوله : في هذه السورة الكريمة: ﴿ **وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ**﴾ (سورة البقرة/الأية 120).

ولعلّ ما حدث لفلسطين وما يحدث اليوم هو ليس حرب سياسية وانما حرب دينية، وقد تطرّق لها محمد البشير الإبراهيمي في كتاب عيون البصائر قبل أكثر من نصف قرن حين قال: **" ما بال هذه الطائفة تدّعي ما ليس لها بحق وتطوي عشرات القرون لتصل – بسفاهتها - وعد موسى بوعد بولفور، وإن بينهما لمددا وجزرا من الأحداث وجذبا ودفعا من الفاتحين"** (الإبراهيمي ، من أثار الإمام محمد البشير الابراهيمي- عيون البصائر-).

فاليهود معروفون منذ القدم بدجلهم وسفههم، ؛ فما جاء بها هذا الاحتلال المجرم كون أنّ موطن فلسطين هو أرض اليهود سابقا، وقد ورثها اليهود أيام موسى عليه الصلاة والسلام. وما ادعوه من جانب ديني في حادثة وعد موسى لهم إلا ضلال وتضليل.

وقد وضّح ""محمد البشير الابراهيمي"" قضيّة حق فلسطين في الدفاع عن أرضها: **" ولو أنَّ السيوف الإنجليزية أُغمدت، والذهب الصهيوني رجع إلى مكانه، وعُرِضَت القضية على مجلس عدلٍ وعقلٍ لا يَستهويه بريق الذهب، ولا يرهبه بريق السيوف، لقال القانون إنّ ثلاثة عشر قرنا كافية لتملّك بحق الحيازة، وقال الدّين إنّ أحقّ النّاس بمدافن الأنبياء هم الذين يؤمنون بجميع الأنبياء، وقال التاريخ إنّ العرب لم ينزعوا فلسطين من اليهود، ولم يهدموا لهم فيها دولة قائمة، ولا ثلوا لهم عرشا مرفوعا.، و إنما انتزعوها من الرومان فهم أحقّ بها من كلّ إنسان"** (الإبراهيمي ، من أثار الإمام محمد البشير الابراهيمي- عيون البصائر-).

فالقوّة التي تمتّعت بها الدول الغربية أنذاك وعلى رأسهم بريطانيا وما كان يتمتّع به اليهود سابقا من ثروات مالية وسيطرة تجارية على الذهب، كلّ ذلك كان سببا في تحالف كلا من الطرفين البريطاني واليهودي من خلال تبادل المصالح، ناهيك عن غياب الحق واستبداله بالقوّة التي تفرضه سيطرتها على العالم، فكلّ مجالس الأمن التي تعقد في نشر السلام في العالم مزيّفة، وهذا ما نعيشه اليوم ويكرّر في غزة.

ولعلّ ما جاء في قوله تعالى :﴿ **وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ**﴾ (سورة الأنبياء/ الأية 105). كافٍ في أكذوبة ما يدّعيه الصهاينة من أن أرض فلسطين أرضهم.، فاليهود كفروا بالله وبأنبيائه، وسجل الله عليهم غضبه ولعنته، فليس لهم حق في الأرض المقدسة، بل هي من حق عباده المؤمنين الصالحين.

رابعا: دَور العرب والمسلمين في ضياع فلسطين والواجبات المطلوبة منهم:

إن قضية فلسطين تمرُّ بأخطر اللّحظات في تاريخها كلّه، فالاستعمار اليهودي قد بلغ أوجه، فالقتل، والتشريد، وهدم المنازل والمشافي، والحصار الاقتصادي الرهيب، وقد بيَّت الخطر الصهيوني أمره، وحدّد هدفه، وأحكم خطته لتصفية القضية الفلسطينية. فقلّةٌ من اليهود تدنّس الأقصى وتقتل المسلمين وتذيقهم ألوانا من الذلّ والهوان على مرأى

ومسمع من العالم كله عامة والإسلامي خاصة، ومع ذلك لم يستطع حكام العرب ان يتجرؤوا في إعلان كلمة الحق. وإيقاف هذا الاحتلال من إجرامه.

قضية فلسطين هي قضية كل المسلمين، وفلسطين دولة عربية إسلامية، والاعتداء عليها يعني الاعتداء على كل المسلمين، وإن ما تواجهه أرض فلسطين عامة وغزة بالخصوص في الفترة الأخيرة جريمة إنسانية متكاملة الأركان والشروط، حيث تتعرض قضية فلسطين إلى مؤامرة عالمية يشجعها ضعف النظام الرسمي العربي، وما يحدث هذه الأيام في فلسطين يعدّ تحديا سافرا للمسلمين، وخرقا للقانون الدولي ومبادئ حقوق الإنسان.

إن نصرةَ فلسطين والفلسطينيين المظلومين والمستضعفين واجبٌ أخلاقي وإنساني وشرعي، توجبه علينا الظروف القاسية التي يمرّ بها إخواننا، من قصف متواصل؛ وتقتيل وتشريد العزل، وهدم بيوتهم وسلب أرضهم ومحاولة تهجيرهم، حيث لا يمكن وصف ذلك إلا بالإبادة الجماعية والعالم "المتحضر" كله يتفرج، مع الأسف، بل يسارع إلى مدّ يد العون للمُعتدي الغاصب. فعن جابر بن عَبْدِ اللَّهِ وأبي طَلْحَةَ بْنَ سَهْلٍ الْأَنْصَارِيَّ رضي الله عنهم جميعًا، قالا: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "مَا مِنْ امْرِئٍ يَخْذُلُ امْرَأً مُسْلِمًا فِي مَوْضِعٍ تُنْتَهَكُ فِيهِ حُرْمَتُهُ، وَيُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ، إِلَّا خَذَلَهُ اللَّهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نُصْرَتَهُ. وَمَا مِنْ امْرِئٍ يَنْصُرُ مُسْلِمًا فِي مَوْضِعٍ يُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ، وَيُنْتَهَكُ فِيهِ مِنْ حُرْمَتِهِ، إِلَّا نَصَرَهُ اللَّهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ نُصْرَتَهُ" (مسند الامام احمد).

كما تطرّق محمد البشير الابراهيمي إلى موقف الغرب الخبيث الحريص في زرع هذا الداء في جسم الأمة العربية: **"أن إنجلترا تنظرُ بعين العطف إلى إنشاء وطن قومي لليهود بفلسطين! فأعدّوا لتحقيقه المال، وأعدّوا الرجال، وأعدّوا الأعمالَ، و اتخذوا من الوقت سلاحاً، فلم يضيّعوا منه دقيقة، واستعانوا بنا علينا... فاكتسبوا من ضعفنا قوّة، ومن أقوالنا الجوفاء قوّة، وأصبحت هذه القوّات كلّها ظهيراً لهم علينا"** (الإبراهيمي ، من أثار الإمام محمد البشير الابراهيمي- عيون البصائر-).

إنّ من يلاحظ أقوال البشير الابراهيمي وأراءه في تفسير سبب ضياع فلسطين وخسارتنا في استرجاع حقّها يُلفي أنه يرجع كلّ ذلك إلى الضعف الذي أصاب الأمة العربية، وشعورها بالعجز وعدم القدرة، ناهيك عن تشتّتها وعدم شملها مع بعضها البعض. وفي الوقت ذاته شعور اليهود بالقوّة وتحالف أشقائها معها، فكانوا بذلك القوّة الضاربة التي تقف أمام العرب، بل كلّ من يتجرّأ في الدفاع على فلسطين تذيقه أحلاف اليهود طعم الرزايا والمأساة في حياته.

ولا شكّ أن هذا ما نعيشه اليوم في أحداث غزّة والمجازر التي يرتكبها اليهود عليها، كلّ ذلك شعور اليهود بالقوّة خصوصا ووقوف أكبر قوّة في العالم في طرفها وهي الولايات المتحدّة الامريكية، هذه الأخيرة بمثابة الشريان الرئيسي الذي يمدّ اليهود العدّة والعتاد، بل من يشجّعها في ارتكاب هذه الجرائم، ويقف أمام كل من يعرقلها أو يهدّد أمنها أو قرارها أو يفسد أهدافها.

وقد سعى محمد البشير الابراهيمي في استخراج أسباب داء الفشل والعجز الذي أصاب الأمة العربية في استرجاع حق فلسطين. يقول محمد البشير الابراهيمي: "**كان الواجب أن نعمل من يوم الوعد لما ينقض الوعد، فنجمع الشمل المشتت، والهوى المتفرّق، ونقضي على الصنائع التي اصطنعوها منا، ونحارب الواعد والموعود بالسلاح الذي يحاربوننا به، ونعلم أن اليهود لا يكاثروننا بالرجال فرجالنا أكثر، ولا يكاثروننا بالشجاعة فشجاعتنا أوفر، وإنما يكاثروننا بالمال والعلم والصناعة فلوكنّا ممن يفكّر ويأخذ بالأحوط الأحزم، لبدأنا في أوّل يوم بالإعداد والاستعداد، فأعدَدْنا المال وأعدَدْنا العلم، واستعدّدْنا بالصناعة. وإنّ في ثلاثين سنة ما يكفي لأن نستعدّ ما استعدّوا، وأكثر مما استعدّوا لا بالأقوال والاحتجاجات التي هي سلاح الضعفاء، ولكن بمصانع العقول وهي مدارس العلم، وبمعامل الأسلحة والعتاد، وبمصايد المال وهي الشركات التجارية، ولو فعلنا لنجحر صهيون في وجاره، وانكمش من يؤازره اليوم من أنصاره، ولو فعلنا لما كانت مماطلة الأمس وتقسيم اليوم**" (الإبراهيمي ، من أثار الإمام محمد البشير الابراهيمي- عيون البصائر-).

إن غصص الفشل والعجز الذي نتجرّعه في كلّ حين أمام بني صهيون هو راجع إلى فشل سابق وتبعات سابقة ثبتت هذا الفشل والعجز. ثمّ إنّ القوّة التي يتمتّع بها اليهود اليوم لا ترجع إلى كثرة الأشخاص أو قوّة الشجاعة التي تمتّع بها بني صهيون وإنّما ترجع كما رأى البشير الابراهيمي إلى كثرة المال والعلم والصناعة، ولعلّ ما ذكر من هذه النقاط الثلاثة هو مصدر النجاح والقوّة، فكل ما وصلت إليه إسرائيل –اليوم- من تطوّرٍ وازدهار، بل من قوّة في السلاح، وقوّة في فرض الاستيطان، كلّ ذلك يرجع إلى هذه الأمور الثلاثة.

فبالمال يشتري العدوّ السلاح من كلّ أنوعه الفتّاكة، من دبّابات وطائرات، وقنابلٍ، وأسلحة يدويّة فيقتل بذلك أهل فلسطين فيصفي هذه القضيّة بالقتل وسفك الدماء. ويفرض بذلك سلطانه و استيطانه، ويرهب كل من يتجرّأ من عرب أو غير عربٍ في الدفاع عن فلسطين أو إظهار كلمة الحق، فيكون بذلك فرض كلمته و سيطرته على شرق الأوسط، وبالعلم يطوّرُ حاجياته ويكشف أشياءً كانت قد غابت عليه، فيسعى بذلك في تطوير صناعته هذه الأخيرة التي هي مصدر التطوّر والازدهار فيعزّ بذلك قوّته ويفرض استيطانه.

ولعلّ ما نشاهده اليوم في تطوّر هذا الاستيطان وازدهاره منذ سنة 1947م، إلى التوسّع الذي ظهر عام 1967، وما نراه اليوم من استيطان كبير واتساعه لصالح إسرائيل أكبر دليلا على القوّة التي تتمتّع بها إسرائيل، وتسند إليها من حلفائها. وهكذا اغترّ اليهود وكلّ من يحالفها بقوّتهم فأصبح السلاح لهم شعار الأمن والأمان لهم، فاليهود الولد المدلّل لأمريكا وهذه الأخيرة هي مصدر السلاح والصناعة، فكيف لا تفرض سيطرتها على فلسطين وكيف تخاف في من يهدّدها أو يتجرّأ أو ينوي أن يضرّها؟.

خامسا: رُؤى الإبراهيميّ حول نَكبة فلسطين عام 1948م:

منذ احتلال اليهود عام 1948م فلسطين ثم التقسيم الذي قامت به إسرائيل مع حلفائها في ارض فلسطين بدأت المأساة الفعلية للعرب في نظر البشير الابراهيمي يقول محمد البشير الابراهيمي : **"تصدع ليل فلسطين الداجي عن فجر كاذبٍ العيان، وتمخَّض مورد الطامعين في إنصاف أوربا القديمة وأوربا الجديدة عن آل لماع يرفع الشخوص ويضعها في عين الرائي لا في لمس اللامس، وباء الظانون ظن الخير بالضميرين الأوربي والأمريكي بما يستحقونه من خيبة تعقبها حسرة، تعقبها ندامة، وتكشِفُ ذلك اللبس الذي دام عشرات السنين عن الحقيقة البيضاء، وهي أن حقَّ الشرق لا ولي له في الغرب ولا نصير، وجاء بها هذا المجلس الذي يسمونه -زورا- مجلس الأمم المتحدة شنعاء لا توارى من أحكام القاسطين، وأحلام الطامعين"** (الإبراهيمي ، من أثار الإمام محمد البشير الابراهيمي- عيون البصائر-).

فرأى البشير الابراهيمي هذا التقسيم الذي جاء بتواطؤ مجموعة من الدول الغربية من بريطانيا وحليفتها أمريكا مع الصهاينة المجرمين هو أوّل بادرة شر حل بالأمة العربية، وقد ساعد هذا التقسيم سكوت العرب وعدم تحرّكهم في إفشال هذا التقسيم، فضلا أنّ هذا التقسيم جاء تحت راية العدل والحق .وهكذا جاء أهل الباطل يحملون الإبهام المضلّل والكيد المبيت والمكر الخفي والدعاوي المقطوعة من أدلتها. هذه هي رؤية الأديب محمّد البشير الإبراهيمي " الذي لا يرى ما لا نرى ويحس به ما لا نرى ويحس بما لا نحس به إنّه التميّز والتفرّد والخصوصية التي يتميّز بها الأدباء ذلك" (عجالي, كمال;، 2005).

كما رأى محمد البشير الابراهيمي من النكبة الفلسطينية لم تبدأ من التقسيم وإنما بدأت من يوم بذل بولفور وعده المشؤوم ؛ فكان من يوم الوعد ويوم التقسيم تطوّر واضح في احتلال الصهاينة على فلسطين بل التوسّع والاستيطان بدأ يزيد زمن إلى زمن لصالح اليهود، قال البشير الابراهيمي مخاطبا العرب: **" وَيْحَكُمْ مَاذَا فَعَلَ اليهود من يوم الوعد إلى يوم التقسيم، و انظروا ماذا فعلنا"** (عجالي, كمال;، 2005).

كما جاء ردّ البشير الابراهيمي واضح في التقسيم الجائر الذي قامت به إسرائيل وحلفائها للأراضي الفلسطينية. حيث رأى: أنّ تقسيم فلسطين جاء عن انتخاب ظالم غير عادلٍ **"تحدِّيا للعرب وحقِّهم وللمسلمين ودينهم، فكان حظ اليهود منها -بغير انتخاب ولا قرعة- الجهات الخصبة المتصلة بالعالم، القريبة من الصريخ، الموطأة الأكناف، المأمونة الأمداد والمرافق، وكان حظ العرب منها الجهات الرملية القاحلة والجبلية الجرداء، وكان حظ البيت المقدس ميراث النبوة عن النبوة أن يُصبح إرثا لأحفاد الصلبيين"** (عجالي, كمال;، 2005).

فاليهود لم يهنأ بالهم في احتلال أرضاً ليس أرضهم؛ حيث بدت حيلتهم الخبيثة منذ فجر ظهورهم على أرض فلسطين؛ فبدؤوا بالاحتلال واغتصاب أرضا ليس أرضهم، ثم اختيار الأراضي الخصبة المأمونة الأمداد والمرافق، ناهيك عن التوسّع الأرضي الذي يظهر في كلّ حين لصالحهم، في حين أنّ الفلسطنيّين كان حظهم الجهات الرملية القاحلة والجبلية الجرداء، وأما الطامة الكبرى التي بها قضى الصهاينة على فلسطين في سلبهم مسجد الأقصى مسرى النبي عليه الصلاة والسلام.

ولكن رغم هذا المكر و النهب والاستلاء سيذوق اليهود وبال أمرهم وسيحيق مكرهم بهم رغم قوّتهم وتحالفهم، فالظالم مثواه الخسران.

إنّ نكبة فلسطين ترجع إلى عدم الصدق والإخلاص مع هذه الأرض المباركة، فإذا ولينا وجوهنا إلى ما فعلهم العرب في تحرير أوطانهم من الاستعمار نرى من الشجاعة والهمّة ما يرهب به عدوّهم فبذلوا الغالي والنفيس من أجل تحرير أوطانهم من ظلمات الاستعمار، ولكن ولما كان الأمر يعني وطن خارج ترابهم كان موقفهم الكلام بدون تطبيق أو سكوت بدون كلام. يقول محمد البشير الابراهيمي عن موقف العرب تجاه فلسطين "**ولم يحمك بعد موسى أشجع من أبطالهم ...وكنت مباركة عليهم في حاضرك المشهود فما اجتمعت كلمتهم في يوم مثل ما اجتمعت في يوم تقسيمك، ولقد فرَّقهم الاستعمار الخبيث في عهدهم الأخير، فما تنادوا إلى الاتحاد مثل ما تنادوا إلى الاتحاد في سبيلك، ولقد تخوف أوطانهم من أطر افها، فما تداعوا إلى الذود عن قطعة من أرضهم مثل ما تداعوا إلى الذود عنك** " (عجالي, كمال;، 2005).

إنّ اليهود إذا تأملنا عددهم فنجد عددهم قليل لا يقارن مع أهل فلسطين والعرب، وإذا تأملنا اجتماعهم وقارناه باجتماعنا نجد أنهم جاؤوا من كل حدب وصوب فاجتمعوا وصاروا كالرجل الواحد لا يزعزعهم كيان آخر، والأمر الذي زادهم قوّة حال العرب البائسة؛ فاكتسبوا من ضعفنا قوة ومن جهلنا قوة، ومن تخاذلنا قوة ، ومن غفلتنا قوة، ومن أقوالنا الجوفاء قوة، وأصبحت هذه القوات كلها ظهيرا لهم علينا.

سادسا: النَّواحي العمليَّة في مو اقف الإبراهيميّ إزاء قضيَّة فلسطين:

برز دور العلامة البشير الابراهيمي تجاه فلسطين واضح العيان فكان السيل الجارف لكلّ أباطيل الصهاينة وزعمهم في استرجاع وطنهم فلسطين، إذ بذل الإمام محمد البشير الإبراهيمي جهودا كبيرة في الدفاع عن القضية الفلسطينية؛ حيث كان من أكثر الشخصيات العربية والإسلامية التزاما بهذه القضية، وإيمانا بحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره، حتى عُدَّ من أبرز المدافعين عن القضية الفلسطينية في العالم العربي والإسلامي. وقد سافر العديد من الدول العربية والأجنبية للتعريف بالقضية الفلسطينية، وحثّ المسلمين على الدفاع عنها، وتمثلت جهوده في المجالات التالية:

أ/كتاباته الفنّية:

إنّ لا نغالي حين نقول "أنّ الإنتاج الأدبي الجزائري شعراً ونثراً في هذا القرن دار حول محاور ثلاث، الوطنية والعروبة، والوحدة العربية، وفلسطين" (مرتاض، 2000)، ولعلّ الإبراهيمي من الأدباء والخطباء ، الذين استغلوا مواهبهم في تناول القضية الفلسطينية في نشر الوعي بالقضية الفلسطينية بين المسلمين والعرب، والحث على دعم الشعب الفلسطيني في نضاله ضد الاحتلال الصهيوني. وقد كتب العديد من المقالات والكتب حول القضية الفلسطينية، منها كتابه الشهير "فلسطين وواجبات العرب والمسلمين"، والذي أوضح فيه حق الشعب الفلسطيني في أرضه ووطنه. ومن أبرز كتاباته أيضا: "فلسطين قبلة المسلمين"، و"السلام والحرب"، و"الإسلام والدولة اليهودية".

ب/سعيه السياسي في الدفاع عن القضية الفلسطينية:

شارك الإبراهيمي في العديد من المؤتمرات والندوات الدولية، حيث دافع عن القضية الفلسطينية أمام مختلف القوى السياسية والإعلامية العالمية. كما أسس العديد من الجمعيات والمنظمات التي تدعم القضية الفلسطينية، منها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (الإبراهيمي، أثار الإمام محمد البشير الابراهيمي، 1997)، وجمعية العروة الوثقى العالمية.

ج/تشجيعه للعرب المشرق وشمال افريقيا في المساندة لفلسطين:

عمل الإمام الإبراهيمي على بيان واجب العرب عموما وأهل شمال إفريقيا والجزائريين خصوصا تجاه القضية الفلسطينية، في أحد خطاباته، حيث يقول في فقرات معدودة : **"إن الواجب على العرب وفلسطين يتألف من جز أين: المال والرجال، وإنّ حظوظهم من هذا الواجب متفاوتة بتفاوتهم في القرب والبعد، ودرجات الإمكان وحدود الاستطاعة ووجود المقتضيات و انتقاء الموانع، وإن الذي يستطيعه الشرق العربي هو الواجب كاملا بجز أيه لقرب الصريخ، وتيسر الإمداد... واجب الدول العربية التصميم الذي لا يعرف الهوادة، والاعتزام الذي لا يلتقي بالهوينا، والحسم الذي يقضي على التردد... وواجب زعماء العرب أن يتفقوا في الرأي ولا يختلفوا... وأن يوجهوا بنفوذهم جميع قوى العرب الروحية والمادية جهة واحدة هي فلسطين... وواجب كتاب العرب وشعرائهم وخطبائهم أن يلمسوا مو اقع الإحساس ومكامن الشعور من نفوس العرب، وأن يؤججوا نار النخوة والحمية والحفاظ فيه"** (الإبراهيمي ، من أثار الإمام محمد البشير الابراهيمي- عيون البصائر-).

ليطرح البشير الابراهيمي في الأخير تعجّبه الذي يحمل رسالة مهمّة للعرب في قوله:**" ما أجهل العرب إذا لم يعاجلوا هذه الجرثومة الصهيونية الخبيثة بالاستئصال ! إنّهم- والله – إن لم يفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير"**. (الإبراهيمي ، من أثار الإمام محمد البشير الابراهيمي- عيون البصائر-)، وفحوى هذه الرسالة هو السكوت في حق فلسطين الضائع إنما هو خطيئة كبيرة يقوم بها العرب وحكامهم ويعقبها فساد كبير قد يصل إلى ديارهم، واستخدامه للفظة "جرثومة" إشارة إلى أنّ البلاء لن يستقرّ في فلسطين فحسب بل سيعمُّ الأمّة العربية جمعاء، إن دام هذا الداء في جسم الأمّة العربية.

أما عرب الشمال الإفريقي فيرى: "أن عليهم لفلسطين حقا لا تسقطه المعاذير، ولا تقف في طريقه القوانين مهما جارت. هذا الحق هو الإمداد بالمال، ومن أعان بالمال، فقد قام من الواجب بأثقل شطريه." (الإبراهيمي ، من أثار الإمام محمد البشير الابراهيمي- عيون البصائر-).

وهكذا اعتبر الشيخ أنّ كلّ عربي من شمال افريقيا واجب عليه نصرة فلسطين ولا عذر في التقصير في ضياع حق فلسطين، فعلى كل من عربي أن يعين بالمال هذا الأخير الذي فلسطين بحاجة إليه، وأما الّرجال، فلها من أشبالها عديد الحصى.

لقد برز موقف محمد البشير الابراهيمي واضحا، فهو في حديث عن القضية الفلسطينية، نلمس ملامح الحزن والحسرة، فهو يرى حقا ضاع من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ولا أحد من الأمة استطاع إرجاعه. يقول الابراهيمي مخاطبا فلسطين بقلب متحسرٍ متألمٍ: **"يا فلسطين! إن في قلب كل مسلم جزائري من قضيتك جروحا دامية، وفي جفن كل مسلم جزائري في حقك كلمة مترددة هي: فلسطين قطعة من وطني الإسلامي الكبير قبل أن تكون قطعة من وطني العربي الصغير، وفي عنق كل مسلم جزائري لك -يا فلسطين- حق واجب الأداء، وذمام متأكد الرعاية، فإن الذنب ليس ذنبه، وإنما هو ذنب الاستعمار الذي يحول بين المرء وأخيه والمرء وداره، والمسلم وقبلته"** (الإبراهيمي ، من أثار الإمام محمد البشير الابراهيمي- عيون البصائر-).

يتحدث البشير الابراهيمي باسم الشعب الجزائري الذي يعتبره جزء لا يتجزّأ من الشعب الفلسطيني، فيعتذر في تقصير واجبه تُجاه إخواننا الفلسطينيين. لكن يبرّر عجزه في استرداد اخوانه والوقوف معهم هو وقوف هذا العدو الغاشم وحلفائه وصدّهم كل من يتجرّأ في النصرة والدفاع بكل ما يملكون من سلاح وقوّة.

وهكذا كان محمد البشير الابراهيمي "أكثر العلماء وشخصياتهم الذين اهتموا لحال فلسطين وأهلها، قبل رئاسة الجمعية وبعدها، فقد أخذت فلسطين حيّزا كبيرا في مواقفه وبياناته، وفي كتاباته، حيث تناول القضية من مختلف جوانبها السياسية والتاريخية وأبرز أهميتها ومكانتها لدى العرب والمسلمين، مؤكدا ضرورة مواجهة المشروع الصهيوني في فلسطين" (ابرير, حمودي; ، 2022).

ومن المواقف المؤثّرة والتي تبقى في سمع كل عربي له نخوة وحب لفلسطين، والذي يبرز في الوقت ذاته مدى اهتمام الشيخ بهذه القضية التي شغلت باله والتي جعلته يؤثر نفسه من أجلها، يقول:**" فو الذي روحي بيده لوكنت أملك ما يملك العمودي من سخل أو ما يملكه البسكري من نخل، أو ما يملكه الفلاح من أرض، أو ما يملكه الحضري من دور ورباع أو ما يملكه الكانز من ورِق وورَق-لخرجت من ذلك كلّه في سبيل عروبة فلسطين، ثم لا تجدني بعد ذلك منّانا ولا كنودا، ولكنّني أملك من هذه الدنيا مكتبة متواضعة هي كل ما يرثه الوارث عنِّي، وإنّني أضعها خالصا مخلصا، بكتبها وخزائنها تحت تصرّف اللجنة، ولا أستثني منها إلا نسخة ومن المصحف للتلاوة ، ونسخة من كل الصحيحين للدراسة"** (الإبراهيمي ، من أثار الإمام محمد البشير الابراهيمي- عيون البصائر-).

وركحا على ما سبق نستشف أن القضية الفلسطينية متثبّتة في عقيدة البشير الابراهيمي فقد سخّر قلمه من أجلها فليس له الا الدعوة في الدفاع عن هذه القضية، وقد اعتبر البشير الابراهيمي أنّ هذه القضية شائكة عند العرب، فقبل الانطلاق في الدفاع عن هذه القضية يجب أن تحرّر العقول من شوائب الخوف والجبن والعجز والهوان الذي أصاب العرب.

خاتمة:

1. العلامة محمد البشير الابراهيمي من أهم الشخصيات الجزائرية بل العربية قاطبة من أدلى بآرائه في إظهار حق فلسطين وهو أحد مؤسسي جمعية علماء المسمين وجريدة البصائر.

2. يبر ز دور جمعية علماء المسلمين في الدفاع عن القضايا العادلة وأهمها القضية الفلسطينية التي تطرّق إليها البشير الابراهيمي من كلّ الجوانب.

3. ابراز الابراهيمي دور حلفاء إسرائيل وعلى رأسهم بريطانيا وأمريكا في خلق هذه الجرثومة الصهيونية في جسد الأمة العربية وتمكينها عليها.

4.تهاون العرب في نظر البشير الابراهيمي لهذه القضية العادلة هو السبب الرئيسي في ضياع فلسطين.

5. رأي الإبراهيميِّ حول نَكبة فلسطين عام 1948م. واضح يتمثل في الإسراع في القضاء على ما سمّاه في حدّ قوله الجرثومة الصهيونية. قبل فوات الأوان.

6. تتمثل النَّواحي العمليَّة في مواقف الإبراهيميِّ إزاء قضيَّة فلسطين من خلال الدفاع عن قضية فلسطين العادلة، وذلك من خلال استخراج أسباب تجلي هذه المشكلة، والسعي في إيجاد حلولا لها.

- الهوامش:

1) ابرير، حمودي;. (30 3, 2022). جمعية علماء المسلمين الجزائريين والقضية الفلسطينية 1931، 1939م. مجلة الحقيقة للعلوم الاجتماعية والإنسانية، صفحة 3.
2) أحمد طالب الإبراهيمي. (بلا تاريخ). من أثار الإمام محمد البشير الابراهيمي- عيون البصائر-. الجزائر: الشركة الوطنية لنشر والتوزيع.
3) أحمد طالب الإبراهيمي. (1997). أثار الإمام محمد البشير الابراهيمي (المجلد 1). بيروت، لبنان: دار الغرب الإسلامي.
4) الحاج علي, الهوارية;. (16 4, 2022). الشيخ محمد البشير الابراهيمي ودوره التربوي والإصلاحي. مجلة روافد للدراسات والأبحاث العلمية في العلوم الاجتماعية والإنسانية، وحدة البحث تلمسان، صفحة 3.
5) سورة الأنبياء/ الأية 105. (بلا تاريخ).
6) سورة البقرة/الأية 120. (بلا تاريخ).
7) عبد المالك مرتاض. (2000). التجربة الشعرية الحديثة في الجزائر 1962 إلى 1990. مجلة الآداب، صفحة 226.

8) عجالي, كمال;. (02, 2005). فلسطين في النثر الجزائري الحديث من 1909 إلى 1959م. مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر، صفحة 80.

9) مسند الامام احمد. (بلا تاريخ).